العلاقات الليبيَّة السوفيتيَّة 1951 – 1960م

دراسة في الوثائق البريطانيَّة والأمريكيَّة

د. علي عبد السلام عبد الله خليفة
قسم التاريخ/كلية الآداب/ جامعة سبها
ali.khalifa1@sebhau.edu.ly

الملخص:

لم تكن لليبيا والاتحاد السوفيتي علاقات سياسيَّة كاملة قبل عام 1955م، وذلك لعدَّة أسباب منها ما هو متعلِّق بالجانب السوفيتي، فالاتحاد السوفيتي لم يكن يتطلَّع لإقامة علاقات دبلوماسيَّة مع الدول غير الشيوعيَّة وخصوصاً تلك التي تقع في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وهذا يرجع لكون الاتحاد السوفيتي ركَّز سياساته على الأوضاع الاقتصاديَّة الداخليَّة، ووجَّه جل سياسته الخارجيَّة إلى التركيز على دول شرق أوروبا وخصوصاً تلك التي تبنَّت الفكر الشيوعي، أمَّا ليبيا فإنَّها ومنذ استقلالها ربطت نفسها بالولايات المتحدة الأمريكية، ودول الغرب الأوروبي وخصوصاً بريطانيا، وذلك للحصول على المساعدات الاقتصاديَّة والعسكريَّة فلم يكن لها علاقات تُذكر مع الاتحاد السوفيتي.

تغير هذا الوضع بعد موت استالين، فأصبح الاتحاد السوفيتي يتطلَّع لتوطيد علاقاته من دول الشرق الأوسط، وحوض البحر الأبيض المتوسط فاستطاع في عام 1955م أن يوثِّق علاقاته مع مصر التي زوَّدها بالسلاح بعد رفض أمريكا ذلك، وفي السنة نفسها استطاع أن يؤسس لعلاقات دبلوماسيَّة كاملة مع المملكة الليبيَّة، وبذلك بدأت مرحلة العلاقات الدبلوماسيَّة بين المملكة الليبيَّة والاتحاد السوفيتي.

الكلمات المفتاحية: ليبيا، الاتحاد السوفيتي، العلاقات الدبلوماسية.

مقدَّمة:

طالب الاتحاد السوفيتي في مؤتمر بوتسدام عام 1945م بحق الوصاية على إقليم طرابلس الغرب باعتبار أنَّها كانت جزءاً من ليبيا المستعمرة الإيطالية السابقة في شمال إفريقيا، غير أنَّ هذا المطلب السوفيتي أصطدم بمعارضة الدول الكبرى في الأمم المتحدة وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكيَّة وبريطانيا فلم ينل السوفيت هذا المطلب، وقد ساعد دعم كل من بريطانيا والولايات المتحدة مشروع استقلال ليبيا بولاياتها الثلاث (طرابلس، برقة، فزان) بعد سقوط مشروع بيفن سيفروزا على استبعاد الوصاية السوفيتية على طرابلس.

ولم يكن للاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسيَّة تذكر مع ليبيا بعد استقلالها حتى عام 1955م عندما تغيَّرت السياسة السوفيتيَّة بعد موت استالين سنة 1953م، فوجَّه الاتحاد السوفيتي سياسته لتوثيق علاقاته مع دول العالم الثالث غير الشيوعيَّة، وخصُّواً دول الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض المتوسط نظراً لما أصبحت تمثِّله هذه المناطق من موقع استراتيجي في الاقتصاد العالمي بتصديرها لكميَّات كبيرة من النفط والغاز العالمي، وكذلك بعدما أصبحت المنطقة ساحة للصراع العربي الإسرائيلي، وتفرُّد الولايات المتحدة بالتحكُّم في المجريات السياسيَّة في المنطقة بعد الحروب العربيَّة الإسرائيليَّة، وبعد انطلاق محادثات السلام العربي الإسرائيلي بين مصر وإسرائيل في سنة 1974م بعد قرار وقف أطلاق النار.

لكل هذه الأسباب كان الاتحاد السوفيتي يبحث عن موضع قدام في المنطقة لكي يكون له دور عالمي كالولايات المتحدة الأمريكية فيما عرف بمرحلة الحرب الباردة، وقد استطاع السوفيت الاستفادة من التغييرات السياسيَّة التي حصلت في المنطقة بأن يوطد لنفسه خصوصاً بعد ثورة 23 يونيو في مصر سنة 1955م، وليبيا سنة 1955م، وفي سوريا عندما وقعت أول اتفاقيَّة اقتصاديَّة بين البلدين في سنة 1957م، ثم مع العراق بعد انقلاب عبد الكريم قاسم، وعبد السلام عارف في يوليو 1958م.

تأتي **أهميَّة** هذا البحث: في كونه يلقي الضوء على حدث مهم وهو إقامة ليبيا علاقات دبلوماسيَّة مع الاتحاد السوفيتي في سنة 1955م.

تعود **أسباب اختيار** هذا الموضوع أولاً: لقلَّة الدراسات السابقة عن هذا الموضوع، ثانياً: لمعرفة الأسباب والظروف التي قبلت فيها ليبيا إقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي وهي

البلد الذى يحتفظ بعلاقات قويَّة مع الولايات المتحدة والغرب الذى كان في حالة صراع مع السوفيت مرحلة الحرب الباردة.

البعد الزماني والمكاني:

البعد المكاني هو ليبيا والاتحاد السوفيتي، أمَّا البعد الزماني فهو الفترة من 1951م حتى 1960م. وقد وقع اختيار عام 1951م كونه العام الذى نالت فيه ليبيا استقلالها، والعام 1960م كونه نهاية العقد الأول تقريباً من عمر المملكة الليبية المستقلة، ولأنَّ مدَّة عشرة سنوات تعد مدَّة كافية في التاريخ الحديث لدراسة أي متغيِّرات سياسيَّة واقتصاديَّة في عمر الدول.

إشكاليَّة الدراسة:

تأتي إشكاليَّة هذه الدراسة في إطار النظر في الظروف التي تشكَّلت بها العلاقات الليبيَّة السوفيتيَّة، وردَّة فعل كل من الولايات المتحدة وبريطانيا على الخطوة الليبيَّة.

التساؤلات:

1- لماذا وافقت ليبيا على أن يكون لها علاقة دبلوماسيَّة مع الاتحاد السوفيتي وهي المملكة الموالية للغرب المعادي للاتحاد السوفيتي؟

2- ما موقف كل من بريطانيا والولايات المتحدة من هذه الخطوة الليبيَّة؟

الدراسات السابقة: لم يستطع الكاتب الوصول إلى كتابات عن الموضوع وخصوصاً باللغة العربية، فأغلب ما كتب عن الموضوع هو باللغة الإنجليزية ويأتي في إطار الكتابة عن تاريخ المنطقة بالكامل وليس عن ليبيا بشكل خاص.

المنهج المتبع في الدراسة: منهج السرد التحليلي.

هيكل الدراسة:

أولاً: محدِّدات السياسة السوفيتيَّة تجاه ليبيا منذ الاستقلال حتى سنة 1960م.

ثانياً: تبادل التمثيل الدبلوماسي بين ليبيا والاتحاد السوفيتي 1955م.

ثالثاً: موقف الولايات المتحدة الأمريكيَّة وبريطانيا من العلاقات الليبيَّة – السوفيتية 1952 – 1960م.

أولاً: محدِّدات السياسة السوفيتيَّة تجاه ليبيا منذ الاستقلال حتى سنة 1960م:

لم يكن للاتحاد السوفيتي طوال فترة حكم ستالين علاقات خارجيَّة قوية يمكن وصفها بأنَّها استراتيجيَّة مع دول العالم الثالث غير الشيوعيَّة، فقد كانت سياسة الاتحاد السوفيتي مبنيَّة على التعاون مع الدول التي تتبنَّى الفكر الشيوعي، (Roeder, P G. 1985)، ففي السنوات ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية وموت ستالين في سنة 1953، لم يتم عمل الكثير لتعزيز العلاقات مع الدول التي لا تتبنَّى الشيوعيَّة، فقد كان السوفييت يركّزون على إعادة بناء وتعزيز اقتصادهم بعد الحرب، وكان جل اهتمام السياسة الخارجيَّة السوفيتيَّة منصبَّاً على المصالح السوفيتيَّة في أوروبا الشرقيَّة والشرق الأقصى (Schoenberger, E. 1975).

استغلَّت الولايات المتحدة الأمريكيَّة والغرب الأوروبي عدم الاهتمام السوفيتي بمناطق الشرق الأوسط وحوض المتوسط لتعزيز وجودهم هناك، فأسَّست الولايات المتحدة والقوى الغربية قواعد عسكريَّة في الكثير من دول المنطقة مثل المغرب، وليبيا، وتركيا، والباكستان، والخليج العربي، والعراق، إضافةً إلى القواعد العسكرية البريطانيَّة في ليبيا، ومصر، وقبرص، والسودان، والأردن. كما عزَّز هذا الوجود العسكري بتشكيل حلف بغداد الذي تأسَّس في سنة 1955م ويضم كلاً من إيران، والعراق، وتركيا، والباكستان تحت المظلة البريطانية وكان موجَّهاً أساساً لصد أي تغلغل سوفيتي في المنطقة، ومن ثمَّ فإنَّ معظم دول المنطقة كانت تحت نفوذ الولايات المتحدة وبريطانيا.

وقد جاء تغيير الاتحاد السوفيتي لسياسته للحد من هذا النفوذ الأمريكي والغربي، ولإيجاد موطئ قدم للسوفيت للوصول للمنطقة، وتكوين نفوذ شيوعي يخدم المصالح السوفيتيَّة بعد موت ستالين وتولي خروتشوف مقاليد السلطة في الاتحاد السوفيتي، حيث تخلَّى الاتحاد السوفيتي عن هذه السياسة، وخصوصاً مع دول الشرق الأوسط، فأصبح يسعى وراء إيجاد موقع له في الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض المتوسط، ولتحقيق التوغُّل السوفيتي في الدول غير الشيوعيَّة بنى الاتحاد السوفيتي سياسته تجاه هذه الدول على أداتين رئيسيتين وهما: المساعدات العسكريَّة، والمعونات الاقتصادية، "فخلال الفترة من سنة 1954م حتى سنة 1981م قدَّم الاتحاد السوفيتي ما قيمته 49.4 مليار دولار كمساعدات عسكريَّة، و9.8

مليار دولار كمساعدات اقتصاديَّة للبلدان النامية غير الشيوعيَّة (Roeder, P G. 1985)، وهذا التوجُّه شكَّل تحوُّلاً واضحاً في توجُّهات الاتحاد السوفيتي نحو هذه الدول ولا سيما مع دول الشرق الأوسط، فقد ركَّز سياسته على الدول المؤثِّرة في المنطقة العربية، وهي (مصر– العرق – سوريا). فالتحرُّك السوفيتي كانت تُحركه عوامل استراتيجية مهمة بالنسبة للسياسة السوفيتيَّة، أهمها الحد من النفوذ الأمريكي والغربي.

ويمكن رؤية التوجُّه السوفيتي الجديد لمنطقة الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض المتوسط أيضاً في إطار الاستراتيجية السوفيتيه في حربها الباردة مع الولايات المتحدة والغرب الأوروبي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولذلك يمكن النظر إلى هذا التحرُّك السوفيتي في ضوء صراع القوى العظمى خلال المرحلة الأولى من الحرب الباردة التي بدأت عام 1945م، حيث تحرَّك الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى لحماية مصالحه الاستراتيجية في المنطقة، ولردع التهديد الأمريكي والغربي للمصالح السوفيتية في المنطقة.

ومنذ ذلك الحين أصبح السوفييت ينظرون إلى الشرق الأوسط، وبالتحديد منذ النصف الثاني من القرن العشرين على أنَّه أقرب إلى البلقان، ومن ثم فإنَّه يشكِّل تهديداً استراتيجيَّاً لهم، فهم يعدون المنطقة المصدر الأكثر احتمالا لحرب عالمية، كما أصبح السوفيت يبني استراتيجيَّاته في المنطقة على احتمال حدوث مواجهة عسكريَّة مع الولايات المتحدة في المنطقة الواقعة شمال الخليج العربي (MccGwire, M. 1988).

وفي الجانب الاقتصادي فقد كانت المنطقة تشكِّل سوقاً كبيراً لتجارة السلاح السوفيتي، حيث تشير الاحصائيات إلى أنَّه لم تتجاوز مبيعات الأسلحة السوفيتية خلال الفترة من سنة 1930 حتى سنة 1945م 6% من مبيعات الأسلحة في العالم، غير أنَّ هذا تغيَّر بشكل كبير فبحلول سنة 1968م أصبح الاتحاد السوفيتي مسؤولاً عن أكثر من 30% من مبيعات السلاح العالمي (Menon, R. 1985)، في حين أنَّ 70% من مبيعات هذه الأسلحة خلال مرحلة السبعينيَّات من القرن الماضي ذهب إلى البلدان النامية غير الشيوعيَّة، وخصوصاً دول الشرق الأوسط العربي (Laird, F R. 1984).

لم يكن للاتحاد السوفيتي موطئ قدم في حوض البحر الأبيض المتوسط حتى وقت مبكر من ستينيات القرن الماضي، وكان وجود الأسطول السوفييتي يقتصر على البحر

الأسود، وبحر البلطيق، أمَّا في حوض المتوسط فقد اقتصر وجود الأسطول السوفيتي على مرور بعض السفن السوفيتية بشكل سنوي بين جبل طارق والمضائق التركية، لذلك كان الوجود السوفيتي في المنطقة مهماً لحماية مصالحهم الاستراتيجية والاقتصاديَّة، ولمنع الغرب وأمريكا من الانفراد بالمنطقة (McCormick, G. H. 1987).

ولتحقيق غايته في الحصول على موطئ قدم في حوض البحر الأبيض المتوسط سعى السوفيت بعد الحرب العالمية الثانية للحصول على حق الوصاية على إقليم طرابلس أثناء مشاورات الدول الكبرى على مصير المستعمرات الإيطالية في إفريقيا, ففي مؤتمر بوتسدام عام 1945م طالب Josef Stalin 1878 – 1953م (جوزيف ستالين) بقوة الوصاية على إقليم طرابلس, وذلك تعويضاً عن الأضرار التي أحدثتها القوات الإيطالية في الأراضي السوفيتية خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك عن عدم حصول السوفييت على منفذ في البحر المتوسط في كل من تركيا واليونان، ولم تنجح محاولات سالتين بالحصول على الوصاية على طرابلس بسبب معارضة الدول الكبرى الأخرى (Phillips, J. 1984)، وخصوصاً الولايات المتحدة وبريطانيا.

لكل هذه الأسباب تحرَّك الاتحاد السوفيتي منذ موت ستالين ليجد له موطئ قدم في منطقة الشرق الأوسط وحوض المتوسط، وليعوِّض خسارته في المنطقة طوال المدَّة التي كان تركيزه فيها منصبَّاً على شرق أوروبا والشرق الأقصى، وليحمي ما كان يراه مصالح استراتيجية في منطقة يهدِّدها الخطر الأمريكي والغربي من خلال السيطرة على المنطقة، وإبعاد الاتحاد السوفيتي عنها.

ثانياً: تبادل التمثيل الدبلوماسي بين ليبيا والاتحاد السوفيتي 1955م:

لم تكن ليبيا استثناء فقد كانت هي الأخرى تشكِّل نقطة استراتيجيَّة في حسابات الدول الكبرى وخصوصاً لدى الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي الذي كان ينظر إليها على أنَّها نقطة ارتكاز مهمة للاستراتيجيَّة السوفيتيَّة في منطقة شمال إفريقيا.

لم يكن هناك علاقات دبلوماسيَّة بين ليبيا والاتحاد السوفيتي منذ الاستقلال في ديسمبر 1951م حتى سنة 1955م، وذلك لعدَّة أسباب منها: أنَّ ليبيا قد ارتبطت منذ البداية بعلاقات اقتصاديَّة وعسكريَّة استراتيجيَّة بكل من الولايات المتحدة وبريطانيا،

واعتمدت على هاتين الدولتين في الحصول على المساعدات الاقتصاديَّة والعسكريَّة. ولم يكن الاتحاد السوفيتي كما أشرنا سابقاً يهتم كثيراً بإقامة علاقات مع الدول غير الشيوعيَّة، ولم يعمل على مد نفوذه إلى منطقة الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا حتى موت ستالين عام 1953م. غير أنَّه بعد موت ستالين تحرَّكت السياسة السوفيتيَّة لمد نفوذها إلى المناطق التي ذكرتها، وقد نجح السوفيت في مساعيهم الدبلوماسيَّة بإقامة علاقات مع المملكة الليبيَّة إبَّان فترة حكومة مصطفى بن حليم رئيس الوزراء الأسبق (أبريل 1954 – مايو 1957)، وسبق ذلك إقامة علاقات دبلوماسيَّة كاملة، وتبادل للسفراء مع جمهورية مصر العربية في أغسطس 1943م، وفي 1948م وقِّعت أول اتفاقية اقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتي، على أنَّ العلاقات بين البلدين لم تشهد تطوُّراً استراتيجيَّاً إلا في سنة 1955م عندما زوَّد الاتحاد السوفيتي مصر بالسلاح بعد أن رفضت الولايات المتحدة ذلك (سامي عمارة، 1959).

وقد جاء تبادل التمثيل الدبلوماسي على مستوى السفارات بين الاتحاد السوفيتي والمملكة الليبيَّة في سبتمبر عام 1955م على أثر مباحثات جرت بين السفير السوفيتي والسفير الليبي في القاهرة استمرَّت مدَّةً من الزمن، وأنتجت اتفاق البلدين على إقامة علاقات دبلوماسية بينهما (TBNA, FO 371-113947, 27/9/1955).

وحسب ما أوردته وثيقة بريطانيَّة أنَّ بن حليم أبلغ السفير البريطاني في ليبيا أنَّ السوفيت كانوا يضغطون منذ فترة طويلة على حكومة المملكة الليبيَّة من أجل إقامة علاقات دبلوماسيَّة كاملة بين الدولتين، وأنَّ ليبيا كانت مضطرَّة لقبول الطلب السوفيتي حتى تضمن عدم استخدام السوفيت حق النقد الفيتو ضد انضمام ليبيا للأمم المتحدة (TBNA, FO 371-113947, 28/9/1955).

وفي كلام بن حليم هذا إشارة صريحة إلى أنَّ الاتحاد السوفيتي قد هدَّد ليبيا بعدم التصويت لصالح انضمامها لمنظمة الأمم المتحدة في حال لم تقبل إقامة علاقات دبلوماسيَّة مع موسكو، والحقيقة أنَّ هذا يبدو غريباً فليس من المعتاد أنْ تقوم دولة بتهديد أو ابتزاز دولة من أجل إجبارها أو دفعها لإقامة علاقات دبلوماسيَّة معها، وبالعودة إلى الوثيقة البريطانيَّة وما أوردته عن بن حليم يقول بن حليم حرفيَّاً حسب الوثيقة:

"Libyan prime minister told me this morning that the soviets had long been pressing for establishment and had finally promised in return they would not veto Libya's entry into the United Nations, Libya had therefore felt obliged to agree" (TBNA, FO 371-113947).

الترجمة الحرفية للنص: "أخبرني رئيس الوزراء الليبي هذا الصباح أنَّ السوفيت كانوا يضغطون منذ فترة طويلة من أجل التأسيس، ووعدوا أخيراً في المقابل بأنَّهم لن يستخدموا حق النقض ضد دخول ليبيا إلى الأمم المتحدة، لذلك شعرت ليبيا بأنَّها مضطرة للموافقة".

هذا الأمر يقودنا إلى فرضيَّة مهمة هنا، وهي أنَّ ما قام به بن حليم من قبول إقامة علاقات دبلوماسية مع السوفيت هو في حقيقته نوع من الضغط والابتزاز السياسي من أجل الحصول على المزيد من الدعم الاقتصادي، والعسكري الأمريكي والغربي للمملكة الليبية، وهذا بالفعل ما أكَّده الأمريكيّون في وثائقهم بهذا الخصوص.

في سنة 1957م تمكَّن الاتحاد السوفيتي من افتتاح فرع لسفارته في مدينة بنغازي، وقد اختارت السفارة السوفيتية في طرابلس موعد العيد الأربعين للثورة الروسيَّة لافتتاح فرعها في بنغازي وهو أكتوبر 1957م، وقد عملت الحكومة السوفيتيَّة على أن يكون هذا الاحتفال كبيراً، ودعت له البعثات الدبلوماسيَّة وكبار رجال الحكومة في المملكة الليبية، ومن بين من حضر احتفال افتتاح السفارة عن الجانب الليبي كل من عبد الله عابد السنوسي (رغم أنَّه لا يحمل أي صفة رسمية إلَّا أنَّه من أفراد الأسرة المالكة)، ورئيس الوزراء مصطفى بن حليم، ووزير الخارجية (علي سليمان الساحلي) (TBNA, FO 371-126035,11/8/1957).

استطاع الاتحاد السوفيتي أن يفتتح سفارة في ليبيا، وأن يكون له تمثيل دبلوماسي على مستوى سفارة في ليبيا، وهي إحدى أهم النقاط الاستراتيجية في حوض المتوسط وشمال إفريقيا، وذلك رغم الوجود الاقتصادي والسياسي والعسكري الكبير للولايات المتحدة وبريطانيا في ليبيا، وهذا في حد ذاته اختراق يحسب للسياسة السوفيتيَّة في حقبة الخمسينيَّات من القرن الماضي في منطقة مهمة جداً في شمال إفريقيا بالنسبة للسياسة الأمريكية والغربية، ولكن هل استطاع السوفيت أن يذهب أبعد من ذلك في علاقته مع المملكة الليبية؟

يؤكِّد تقرير لمجلس الأمن القومي الأمريكي أنَّه على الرغم من أنَّ الاتحاد السوفيتي قد نجح في تأسيس علاقات سياسيَّة مباشرة مع ليبيا، إلَّا أنَّه ومع نهاية عام 1960م ظل التأثير السوفيتي في ليبيا محدوداً جداً، فلم يستطع السوفيت أقناع الليبيين بقبول كل عروض المساعدة العسكرية والاقتصادية المقدَّمة من قبلهم، وأكد التقرير بأن:

Soviet influence in Libya, never very significant … Soviet offers of military and economic aid in 1956 were rejected by the Libyan Government after the United States extended additional aid to Libya (TH of US D of S, 15/3/1960).

وبهذا فإنَّ النفوذ السوفيتي في ليبيا ظلَّ محدوداً، ولم يتجاوز تبادل التمثيل الدبلوماسي على الرغم من كل العروض السوفيتية بتقديم المساعدات الاقتصاديَّة والعسكريَّة، وذلك بسبب مقاومة كل من أمريكا وبريطانيا للوجود السوفيتي في ليبيا، من خلال تقديم الدعم وخصوصاً الأمريكي منه كما سنرى لاحقاً.

ثالثاً: موقف الولايات المتحدة الأمريكيَّة وبريطانيا من العلاقات الليبيَّة – السوفيتيَّة 1952 – 1960م:

اختلفت ردَّة فعل كل من الولايات المتحدة الأمريكيَّة وبريطانيا حول موضوع إقامة المملكة الليبيَّة والاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسيَّة بينهما، وفتح الاتحاد السوفيتي سفارة في كل من طرابلس وبنغازي، في حين أنَّ الولايات المتحدة لا ترى في الخطوة الليبيَّة سوى نوع من الابتزاز السياسي للحصول على مزيد من المساعدات الأمريكيَّة، والغربيَّة حيث يظهر ذلك من خلال ما قاله السفير الأمريكي في ليبيا بأنَّه "لا ينبغي أن نشعر بالقلق المفرط من مثل هذه الأنشطة طالما أنَّ ليبيا لا تزال صديقة في القضايا الكبرى" (TH of US D of S, 11/6/1960) أمَّا بريطانيا فترى أنَّ الموضوع مقلق ويستدعي تحرُّكاً فورياً للوقوف في وجه التغلغل السوفيتي في المنطقة وليبيا، وذلك من خلال ما عبَّر عنه السفير البريطاني في ليبيا عن افتتاح فرع السفارة السوفيتية في إقليم برقة وبالتحديد مدينة بنغازي التي يمتلك فيها الإنجليز نفوذاً كبيراً بالقول: لقد بدأ دخول السوفيت إلى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (TBNA, FO 371-126035).

وأيَّاً كانت ردَّة فعل الطرفين الأمريكي والبريطاني فإنَّ كليهما اتفقاً على أنَّ هذا الحدث يشكِّل خطراً على مصالح كل منهما في المنطقة بشكل عام، وليبيا بشكل خاص، واتفقاً أيضاً على ضرورة التنسيق فيما بينهما للوقوف في وجه خطر تغلغل السوفيت في ليبيا، ومنطقة شمال إفريقيا عن طريق ليبيا. يقول السفير الأمريكي في ليبيا في مراسلة إلى الخارجيَّة الأمريكيَّة في نوفمبر 1955م ربما يكون من المبالغة القول أن التسلُّل إلى ليبيا هو في حد ذاته هدف أساسي للاتحاد السوفيتي في المنطقة، فمن الواضح أنَّ ليبيا يمكن أن تكون مهمة كوسيلة لتوسيع النفوذ السوفيتي غرباً عبر شمال إفريقيا، وذلك إذا أصبحت ليبيا قناة للسوفيت يمكن من خلالها توجيه التخريب الشيوعي ودعمه في تونس، والجزائر، والمغرب، واستخدام الشعارات القوميَّة والمناهضة للإمبرياليَّة والتحريض عن طريق تقديم المساعدة المادية (TH of US D of S 11/30/1955).

تُظهر الوثائق الأمريكية أنَّ قبول المملكة الليبيَّة لتطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي لم يأتِ حبَّاً في ذلك، ولا اقتناعاً بالشيوعية، بل أرجع الأمريكيون موافقة ليبيا على القبول بعلاقات سياسيَّة مع الاتحاد السوفيتي إلى سببين رئيسيين هما:

1- الرغبة الليبية في دحض الاتهامات بأنَّ ليبيا تابعة للغرب.

2- اعتقاد الليبيين بأن المساعدات الغربية لليبيا ستزداد إذا شعرنا أنها قد تلجأ إلى الاتحاد السوفيتي للحصول على المساعدة (TH of US D of S, 11/12/1966).

أيضاً يُعد تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفيتي نوعاً من تخفيف الضغط العربي وخصوصا المصري بأنَّ ليبيا موالية للغرب، وأنَّها تتبنَّى مواقف لا تخدم المصالح العربيَّة مثل موضوع الصراع العربي الاسرائيلي، لذلك فإنَّ خطوة ليبيا بقبولها تطبيع العلاقات وإقامة علاقات سياسيَّة كاملة مع الاتحاد السوفيتي يمكن فهمها في هذا الإطار لتخفيف حدَّة الانتقادات العربيَّة للسياسة الخارجيَّة الليبيَّة. كما أنَّ هذه الخطوة تقلِّل من النظريَّة السائدة بأنَّ السياسة الخارجيَّة الليبيَّة موالية للمصالح الغربيَّة بالمنطقة، وتجعل من إقامتها علاقات مع الاتحاد السوفيتي نوعاً من التوازن في علاقاتها الخارجيَّة على اعتبار أنَّها تمتلك علاقات مع القطبين الغربي والشرقي.

يقول السفير الأمريكي في ليبيا: يبدو أنَّ الحكومة الليبيَّة بأكملها بما في ذلك الملك كان لديها انطباع بأنَّه يجب تقديم دليل على استقلال ليبيا عن الغرب، وتبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الاتحاد السوفيتي سيوفِّر مثل هذا الدليل (TH of US 11/30/1955 D of S).

وفي سبيل الاحتفاظ بالتأثير الأمريكي والغربي في ليبيا أوصت السفارة الأمريكية بأن: تجعل الولايات المتحدة مساعدتها لليبيا متاحة لكن بوتيرة بطيئة، وذلك باستخدام الأمل في المزيد من المساعدات الأمريكيَّة كحافز لإبقاء ليبيا متحالفة مع الغرب في القضايا الرئيسيَّة، وألَّا تكون الولايات المتحدة منزعجه من التصريحات المعادية للغرب، لأنَّها لامتصاص الغضب الشعبي. كما أوصى السفير الأمريكي بطرابلس بأنَّه: يجب أن يوفِّر برنامج المساعدة العسكريَّة المستمر لليبيا المدروس بعناية، وعلى مراحل، وبشكل مناسب حاجزًا فعَّالًا للتغلغل السوفيتي للجيش الليبي ... فضلاً عن ربط الجيش بالغرب. والمساعدة المستمرة والموسَّعة للحكومة الليبيَّة في تدريب ضبَّاط الشرطة هي وسيلة أخرى يمكن من خلالها اتخاذ إجراءات مباشرة لمنع أي نشاط تخريبي محتمل، وعلى المدى الطويل يجب أن تكون المساعدة الاقتصاديَّة والتقنيَّة على نطاق واقعي وبرنامج معلومات نشط كافيين لمنع نمو أيَّة حركة شيوعيَّة محليَّة كبيرة (TH of US D of S 11/30/1955).

من خلال ما تقدَّم يبدو بوضوح أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة لم تكن قلقة بالخطوة التي حصلت بين المملكة الليبيَّة والاتحاد السوفيتي، بل أخذت الموضوع على أنَّه نوع من استخدام الابتزاز السياسي من قبل الحكومة الليبيَّة للحصول على أكبر قدر من المساعدات العسكريَّة والاقتصاديَّة، فضلاً عن أنَّها ترى أنَّ العلاقات بين الطرفين الليبي والسوفيتي لن تصل إلى حد يهدِّد المصالح الأمريكيَّة في ليبيا والمنطقة، وذلك بتقديم المساعدات بالشكل الذى أشارت إليه.

وهذا ما حدث بالفعل فبعد أن اتفقت كلٌ من ليبيا والولايات المتحدة فيما بعد على أنَّ الولايات المتحدة ستقدِّم الدعم الاقتصادي والعسكري اللازم للمملكة الليبية، اشترطت الولايات المتحدة الحصول على ضمانات ليبيَّة برفض الدعم السوفيتي المقدَّم، وكذلك رفض أي دعم سوفيتي في المستقبل من السوفيت، أو أي دولة شيوعيَّة، أو حليفه للسوفيت، وقد

قدَّم مصطفى بن حليم الضمانات التي طلبتها الحكومة الأمريكيَّة بعدم قبول الدعم السوفيتي (TH of US D of S, 13/3/1956 (TH US D of S, 20/4/1956, وربما هذا ما يؤكِّد أنَّ حكومة بن حليم قد حاولت ابتزاز الغرب والولايات المتحدة بإقامتها علاقات دبلوماسيَّة مع السوفيت، وليس فقط الخوف من تصويت الاتحاد السوفيتي ضد طلب ليبيا الانضمام للأمم المتحدة.

وقد أكَّد بن حليم أنَّ عملية الابتزاز هذه قد حصلت من خلال ما أورده في مذكراته (صفحات مطوية من تاريخ ليبيا) بالقول: "في أواخر سنة 1955 عقدنا, الرئيس جمال عبد الناصر وأنا, العديد من الاجتماعات في القاهرة والإسكندرية ونسقنا في تلك الاجتماعات سياساتنا تجاه الدول الغربيَّة ... واتفقنا كذلك على الكثير من المناورات أهمها قصة مناورة السلاح المصري للجيش الليبي ... كما نسَّقتُ معه خطة سريَّة لتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفيتي ... كذلك نسقنا سياسة المزايدة بين الشرق والغرب" (مصطفى أحمد بن حليم, 1992).

أمَّا الموقف البريطاني فقد اختلف عن الموقف الأمريكي من حيث القلق والتخوُّف من الخطوة الليبيَّة، فقد كانت بريطانيا أكثر قلقاً من الإدارة الأمريكيَّة بخصوص تبادل العلاقات الدبلوماسيَّة بين المملكة الليبيَّة والاتحاد السوفيتي.

تظهر الوثائق البريطانيَّة أنَّ هناك حركة كبيرة في عمليَّة إرسال، واستلام للمراسلات بين الخارجية البريطانيَّة وبين سفاراتها في كل من طرابلس وموسكو وواشنطن في موضوع قبول ليبيا تأسيس علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي، وهو ما يظهر لنا قلقلاً كبيراً لدى الحكومة البريطانية من الخطوة الليبية، وتشير كذلك هذه المراسلات إلى كيفيَّة التعامل مع هذا الحدث الذى أعدته بريطانيا تهديداً لمصالحها في ليبيا وفي المنطقة بشكل عام. كما تُظهر تواريخ هذه الوثائق وعددها مدى الاهتمام الكبير الذى أولته الخارجية البريطانية لهذا التحرك الدبلوماسي الليبي، ففي أقل من خمسة أيام كان هناك العديد من مراسلات تُصدر، ومراسلات تُستلم بين سفارات العواصم التي ذكرناها ووزارة الخارجيَّة البريطانيَّة تعطي معلومات كثيرة ومهمة عن التحرُّك البريطاني تجاه الخطوة الليبية، وكذلك المشاورات مع

الحكومة الأمريكيَّة لكيفيَّة التنسيق للوقوف في وجه التمدُّد السوفيتي في ليبيا والذى يهدِّد المصالح الأمريكيَّة والبريطانيَّة ليس في ليبيا فقط وإنَّما في شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط.

كما تعطينا هذه المراسلات حجم السفارات البريطانية ودورها في العمل على متابعة التحرُّك السوفيتي في ليبيا، وكذلك في نقل وجهة نظر الحكومة الليبية في تحرُّكها الدبلوماسي تجاه السوفيت ...، وتعطي أيضاً صورة واضحة عن التعليمات التي كانت تصدرها وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة لهذه السفارة بالخصوص.

وتُظهر وثيقة إنجليزية أنَّه عقب التقارير التي نُشرت في الصحف الليبيَّة بشأن إقامة ليبيا علاقات دبلوماسيَّة مع موسكو تواصلت الحكومة البريطانيَّة مع الجانب الأمريكي للتشاور في الطريقة والصيغة التي يجب أن يتم الرد بها على الحكومة الليبيَّة على أثر إقامتها علاقات مع الاتحاد السوفيتي دون التشاور مع الجانبين الأمريكي والبريطاني، وتظهر الوثيقة أنَّ كلاً من الجانب الأمريكي والبريطاني قد علم بالخطوة الليبيَّة من خلال ما نشرته الصحف الليبيَّة عن هذا الأمر (TBNA, FO 371-113947, 26/9/1955)، والحقيقة أنَّ هذا يبدو غريباً, فكيف لم تعلم الحكومتان الأمريكيَّة والبريطانيَّة بالحوارات والنقاشات التي كانت دائرة بين الجانب الليبي والسوفيتي في القاهرة حول إقامة علاقات دبلوماسيَّة بينهم, خصوصاً أنَّ بريطانيا والولايات المتحدة لها علاقات وثيقة جداً مع النظام الملكي الليبي في ذلك الوقت, فضلاً عن أمر آخر مهم وهو كيف أنَّ مخابرات البلدين لم تعلم بذلك وهما الدولتان اللتان تمتلكان وجوداً عسكرياً واستخباراتيَّاً كبيراً جداً في ليبيا؟. وبالبحث في الوثائق الأمريكيَّة والبريطانيَّة المتاحة لم يتم العثور على إجابة لهذا السؤال.

وبالعودة إلى الوثيقة البريطانية تظهر الوثيقة أنَّه بعد التشاور مع الحكومة الأمريكيَّة ترى وزارة الخارجيَّة الأمريكيَّة أنَّه من غير المستحسن اتخاذ أيَّة خطوة رسمية، وأنَّهم ربما سيطلبون من سفيرهم في طرابلس التحدُّث مع الجانب الليبي بشكل غير رسمي على أن يعبِّر السفير عن أسف الحكومة البريطانية من الخطوة التي قامت بها ليبيا، وأن يبيّن للحكومة الليبيَّة أنَّه ما كان عليها أن تتخذ مثل هذا القرار، وكان على الحكومة الليبية أن تخبر أصدقاءها الأمريكيين والإنجليز بنواياها (TBNA, FO 371-113947,).

وفي الوقت نفسه حذَّر السفير البريطاني في موسكو من أنَّ ليبيا لن تكون قادرة على فتح سفارة للحكومة الليبيَّة في موسكو بسبب التكاليف الباهظة، وأنَّ الأمر ربما ينتهي بأن لا تكون هناك سفارة ليبيَّة في موسكو بينما سيفتتح السوفيت سفارة كبيرة في طرابلس، وهذا الأمر سيكون له عواقب كبيرة على المصالح البريطانية (TBNA, FO 371-113947, 28/9/1955)، وفي اليوم نفسه وهو 1959/9/28 الذى أرسلت فيه السفارة البريطانية في واشنطن نتائج مشاوراتها مع الخارجيَّة الأمريكيَّة بخصوص الخطوة الليبية بعثت الخارجيَّة البريطانيَّة برسالة إلى السفير البريطاني في طرابلس تخبره أنَّها مع المقترح الأمريكي، وعلى السفير أن لا يقوم بالاعتراض الرسمي لدى الحكومة الليبيَّة على إقامتها علاقات رسميَّة مع موسكو، ولكن لا يمكن السماح بأن تمر هذه الخطوة دون الرد عليها، ولذلك وجهته بأن يتحدَّث مع رئيس الوزراء الليبي مصطفى بن حليم بشكل غير رسمي، وأن ينقل له انزعاج الحكومة البريطانية، وأسفها على الخطوة التي قامت بها الحكومة الليبيَّة دون التشاور معها (TBNA, FO 371-113947, 28/9/1955)، وتُظهر وثيقة بريطانيَّة أخرى أنَّ الخارجيَّة البريطانيَّة قد وأعزت إلى سفيرها بطرابلس أن ينقل للحكومة الليبيَّة عندما يقابل رئيس الوزراء الليبي، أنَّ الحكومة البريطانيَّة: تدرك تماماً استقلال ليبيا وحقَّها في إدارة علاقاتها الخارجيَّة، لكنها تعتبر أنَّ العلاقات الوثيقة التي كانت قائمة دائماً بين المملكة المتحدة وليبيا، ووجود القوات البريطانيَّة في ليبيا، والمساعدات الماليَّة التي تقدِّمها حكومة جلالة الملكة إلى الحكومة الليبيَّة، كلها أسباب تجعل الحكومة البريطانيَّة تتوقَّع أنَّ الليبيين على الأقل سيشعروننا مسبقًا بنيتهم بدلاً من ترك الحكومة البريطانيَّة لتعرف هذه الخطوة من خلال تقارير الصحف (TBNA, FO 371-113947, 28/9/1955).

في 1955/9/29م قال السفير البريطاني في ليبيا 1955–1959 Walter Graham والتر جراهام أنَّه متأكِّد أنَّ السبب الوحيد الذى لم يجعل الحكومة الليبية تبلغ الجانب البريطاني بنيتها إقامة علاقات دبلوماسيَّة مع السوفيت هو الخشية من اعتراض الحكومة البريطانية على ذلك (TBNA, FO 371-113947, 29/9/1955).

في 1955/10/1م قابل جراهام مصطفى بن حليم، وأبلغه بامتعاض وانزعاج الحكومة البريطانية بالخطوة التي قامت بها الحكومة الليبيَّة تجاه إقامة علاقات مع الاتحاد

السوفيتي، وقد ردَّ بن حليم بأنَّه يأسف لعدم إبلاغ الحكومة البريطانيَّة مسبقاً، وأنَّه لم يكن يدرك أنَّه كان يجب أن تولى هذه الخطوة كل تلك الأهميَّة، وأبلغ بن حليم أنَّ حكومته لن تتردَّد في إغلاق السفارة الروسيَّة إذا ثبت تورُّطها في أيَّة أنشطة تخل بالأعراف الدبلوماسيَّة، وقد علَّق السفير جراهام في برقيته للخارجيَّة البريطانيَّة على حديثه مع بن حليم بالقول أنَّ بن حليم كان مخادعاً في ردوده (TBNA, FO 371-113947, 1/10/1955).

الخاتمة:

حسب ما أوردته الوثائق الأمريكيَّة لا يبدو أنَّ مصطفى بن حليم قد قبل بإقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي عام 1955م فقط لأنَّه كان متخوفاً من تصويت الاتحاد السوفيتي ضد انضمام ليبيا للأمم المتحدة، أو لأنَّ الاتحاد السوفيتي قد هدَّد بذلك، وطلب إقامة علاقات مع ليبيا مقابل عدم الاعتراض على انضمام ليبيا للمنظمة الدولية.

أيضاً وحسب ما تظهره الوثائق يبدو أنَّ الخطوة الليبيَّة كانت لابتزاز أمريكا وبريطانيا لتقديم مزيد من الدعم الاقتصادي والعسكري لليبيا، وليس كما أدَّعى بن حليم بأنَّه قبل بذلك خوفاً من تصويت السوفيت ضد انضمام ليبيا للأمم المتحدة, وهذا ما أكَّده بن حليم نفسه فيما بعد في مذكراته.

لا يبدو أنَّ ما أدعته الولايات المتحدة وبريطانيا من أنَّها علمت بالخطوة الليبيَّة ممَّا تناقلته الصحف الليبية، وأنَّهم لم يكن لهم علم بذلك صحيحاً، وهي الدول التي تمتلك وجوداً عسكريَّاً واستخباراتيَّاً كبيراً جداً في ليبيا، خصوصاً وأنَّ المباحثات الليبيَّة السوفيتيَّة قد جرت في القاهرة.

تُظهر الوثائق الأمريكيَّة أنَّ درجة القلق من قيام علاقات بين ليبيا والاتحاد السوفيتي كانت أقل بكثير من الجانب البريطاني، فقد نظرت الولايات المتحدة إلى ذلك على أنَّها مناورة سياسيَّة القصد منها ابتزاز الولايات المتحدة والغرب لتقديم مزيد من الدعم للمملكة الليبية.

تُظهر الوثائق البريطانيَّة قلقاً أكبر تجاه إقامة علاقات بين الطرفين الليبي والسوفيتي وتخوفاً أكبر من الخطوة الليبية، حيث رأت فيها أنَّها تشكِّل بداية للتغلغل السوفيتي في المنطقة.

أظهرت التقارير الاستخباراتيَّة الأمريكيَّة أنَّه بنهاية سنة 1960م لم تصل العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والمملكة الليبية لدرجة تهدِّد المصالح الأمريكيَّة والغربيَّة في ليبيا بشكل خاص والمنطقة بشكل عام.

يبدو أنَّ بن حليم على الرغم من تصنيف الولايات المتحدة للموقف الليبي الجديد من الاتحاد السوفيتي على أنَّه سياسة ابتزاز فإنَّه قد استفاد من ذلك، حيث قرَّرت الولايات المتحدة فيما بعد رفع الدعم الاقتصادي والعسكري للمملكة الليبية في خطوة استباقيَّة لمنع السوفيت من التغلغل أكثر في ليبيا.

المصادر والمراجع:

الوثائق:

- TH of US D of S, National Security Council Report, Statement of US policy toward Libya, 15/3/1960
- TH of US D of S, Libyan Exchange of Diplomatic Representatives with USSR and the United States Position in Libya, 11/30/1955
- TH of US D of S, Letter From the Acting Secretary of State to the Secretary of Defense, 11/12/1966
- TH of US D of S, Letter from the Deputy under Secretary of State for Political Affairs (Murphy) to the Ambassador to Libya (Tappin), Washington, March 13, 1956. TH of U.S D F, Letter from Prime Minister Bin Halim to the Ambassador in Libya Tappin, Tripoli, April 20, 1956
- TBNA, FO 371-113947, letter from Washington to Foreign Office, 26/9/1955
- TBNA, FO 371-113947, letter from Foreign Office to Washington, 28/9/1955
- TBNA, FO 371-126035, British Embassy in Libya, Benghazi, 11/8/1957
- TBNA, FO 371-113947, letter from Moscow to Foreign Office, 28/9/1955
- TBNA, FO 371-113947, letter from Foreign Office to Tripoli, 10/1/1955
- TBNA, FO 371-113947, letter from Tripoli to Foreign Office, 27/9/1955
- TBNA, FO 371-113947, letter from Tripoli to Foreign Office, 28/9/1955
- TBNA, FO 371-113947, letter from Foreign Office to Tripoli, 28/9/1955
- TBNA, FO 371-113947, letter from Tripoli to Foreign Office, 29/9/1955

المراجع العربية:

– **بن حليم، مصطفى أحمد**, (1992)، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا, بريطانيا العظمى.

– **عمارة، سامي**، (2019)، موسكو وثائق وأسرار 1952 – 1986، دار الشروق، القاهرة.

المراجع والدوريات الأجنبية:

- **Laird, F R.** Soviet Arms Trade with the Noncommunist Third World, Proceedings of the Academy of Political Science, Vol. 35, No. 3, The Academy of Political Science, 1984.
- **MccGwire, M.**, the Middle East and Soviet Military Strategy, Middle East Report, No. 151, 1988, Middle East Research and Information Project (MERIP).
- **McCormick, G. H**., the Soviet presence in the Mediterranean, http://www.rand.org/pubs/papers/2008/P7388.pdf, 1987
- **Menon, R.**, the Soviet Union, the Arms Trade and the Third World, Soviet Studies, Vol. 34, No. 3, 1982, Taylor & Francis, Ltd, 377-396 **Roeder, P G.**, The Ties that Bind: Aid, Trade, and Political Compliance in Soviet-Third World Relations, Vol 29, No 2, international studies quarterly, Wiley-Blackwell, 1985.
- **Phillips, J.,** Moscow's Thriving Libyan Connection, http://s3.amazonaws.com/thf_media/1984/pdf/bg362.pdf, 1984. **Schoenberger, E., Reich, S.,** Soviet Policy in the Middle East, MERIP Reports, No. 39, 1975, Middle East Research and Information Project.

***